
المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد الثالث والعشرون شهر (٤) ٢٠٢٠

إثبات المعاد وبيان حقيقته

صفية الرفاعي

ماجستير- دراسات عربية وإسلامية - جامعة صباح الدين الزعيم

E-mail: safiyealahmad55@gmail.com

الملخص:

دراستي تحمل عنوان (إثبات المعاد وبيان حقيقته)، وهي دراسة تحليلية، لعرض آراء أشهر العلماء الفلاسفة التي حيرت العقول، ونقدها، حول كيفية معاد الإنسان في اليوم الآخر، حيث خصصت مبحثاً كاملاً لعرضها ومناقشتها بالاستدلال والتحليل والنقد والإجابة، ورفض ما أمكن رفضه، وقبول ما أمكن قبوله، وأثبت الرأي الراجح بالأدلة، وكل ذلك بعد أن خصصت المبحث الأول لبيان مفهوم المعاد وإثبات وجوده بالأدلة العقلية والنقلية، وبيان حقيقة الإنسان والنفس والعلاقة بينهما وبين البدن

وانتهيت من خلال عرض الموضوع والإجابة عن الإشكالات الواردة في مجاله إلى نتيجة كلية وهي أن الكيفية التي يعاد بها الإنسان في اليوم الأخر هي بالروح والجسد دون التكهن بمعرفة خصوصياتها الغيبية لأنه لا يمكن لعقل الإنسان إثباته ببرهان يقيني.

الكلمات المفتاحية: المعاد، الروحاني، الجسماني، البعث، النشور

Abstract:

My research is about (proving the resurrection and showing its reality). It is an analytical study which shows the opinions of the most famous. Philosophical scholars about how the revival of man in the Hereafter will be.so I specified the whole research to display and discuss this idea by inference, analysis, criticism and evidence, so we refuse what it can by refused and accept what it can by acceptable by taking the most correct opinion and evidence .Therefore, what I firstly presented is displaying the meaning of the concept "resurrection" by giving mental evidences as well showing the reality of man and soul and their relationship with the body. At the end, I extracted through presenting the main topic and answering some problematics the result that way which man is being resurrected in the hereafter is by both soul and body without speculating about knowing its metaphysical, unseen, features because the mind of man how cannot prove that with certainty.

Keywords: life after death, spiritual, physical, revival, resurrection.

المقدمة

الحمد لله الأول بلا بداية، والأخر بلانهاية، القاهر فوق عباده، كل موجود محتاج إليه، عزّ كل ذليل، وغني كل فقير، ومفزع كل ملهوف، وقوة كل ضعيف، وملجأ كل مكروب، ومنتهى كل غاية، من نطق سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه، كل شيء قائم به، ذو الجلال والإكرام، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون، القائل في كتابه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ لقمان: ٢٨ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مقر بعبوديته، ومذعن لألوهيته، ومتبرئ من الحول والطول إلا به وبعد: فإن الكتابة بما يتعلق في قضايا العقيدة، وأصول الدين، مركب صعب، وطريق وعرة، وأمر خطير، لأن الزلة في هذا العلم تلقي بصاحبها في أهوية سحيقة، لا يعلم مداها إلا الله، والمعصوم من عصمه الله، والموفق من وفقه الله.

أسئلة البحث:

١. ـ ما المعاد؟
٢. ما أدلة إثبات المعاد؟
٣. ما حقيقة المعاد وهل هو بالروح أم بالجسد؟

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة لتسليط الضوء على واحد من أهم الأركان الأساسية التي دعا إليها وبعث من أجلها الأنبياء والرسل، والتي تبدأ بالتوحيد وتختتم بالمعاد، ألا وهو (المعاد) وهو ركن لا مناص لأحد من الإيمان به والتسليم بحقيقته، فإنكاره يعني إنكار الإيمان.

فإن ظهور الفكر العلماني في أوساط المجتمعات المسلمة، واعتبار المعاد وبعث الناس من قبورهم بعد الفناء، ومحاسبتهم على أعمالهم ثم الخلود في الجنة أو النار أكذوبة، ما دفعني لحل إشكالية البحث في الإجابة عن الأسئلة السابقة.

أهمية البحث:

علم علم أصول الدين من أهم العلوم على الإطلاق، وكل العلوم في خدمته، فعن طريقه يعرف الله ويُوَحَّد، وبه يُرَدُّ على من يكفر به وَيَجْحَد، ومن أهم أبحاثه الإيمان بالبعث بعد الموت؛ لذا جعله الحق سبحانه وتعالى ركناً من أركان الإيمان.

إن عقيدة الإيمان بالبعث والنشور – التي تترتب عليها المسؤولية والجزاء في الحياة الثانية كما يُصَوِّرُها الدين الإسلامي- من أهم البواعث للإنسان إلى عمل الخير، والكف عن فعل الشر، مما يؤدي إلى قيام مجتمع فاضل أساسه احترام حقوق الآخرين، والوقوف عند كل ما تتطلبه الحياة الكريمة، والأخلاق الفاضلة.

وما نلحظه في أيامنا من التطاحن بين شعوب الأرض، ونشوب الحروب المدمرة- التي تأكل الأخضر واليابس، وتقتل الأبرياء، وتودي بالضعفاء، مخلفةً وراءها مآسي وعاهات يندى لها جبين الخلق حياءً وخجلاً، رغبة في السيطرة على خيرات الأرض وما أُودِعَ فيها من كنوز- دليل صارخ على صحة ما قلته، فلو آمن هؤلاء بالبعث بعد الموت، وبالجزاء على الأعمال، ما أوقدوا ناراً للحرب، وقتلوا النساء والأطفال بلا وازع من خلق أو دين.

ومن هنا ندرك قيمة الإيمان بالبعث والحساب، ومن ثَمَّ أهمية الكتابة في هذا الموضوع.

أهداف البحث:

تبرز أهداف البحث من خلال:

١. بيان معنى المعاد، وإثبات وجوده.
٢. بيان حقيقة المعاد هل هي بالروح أم بالجسد أم بكليهما

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي، حيث عدت إلى أمهات الكتب واستخرجت منها الأدلة، وربطت بين بعض معلوماتها، وحددت المسلك العلمي اللازم لإعداد هذا البحث في إطار من الوضوح والسهولة واليسر، بغية تحقيق الإفادة الكاملة على النحو المحقق للقصد من البحث

وراعيت ما يرد داخل كل مذهب من أقوال، مراعية النقل من أمهات الكتب المعتمدة، وعرضت الأقوال داخل المذهب الواحد، ووثقت أقوال الأئمة، ورجحت ما ترجح لدي للاعتماد عليه عند المقارنة مع المذاهب الأخرى، مراعية الدقة والأمانة، مع عقد مناقشة الأدلة عندما يستدعي الترجيح ذلك، مستعينة بالله وتوفيقه.

تعريف المعاد

المعاد لغة:

كل شيء إليه المصير والمآل، وهو مصدر عاد يعود إليه عوداً وعودة ومعاداً أي: رجع وصار إليه قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ الأعراف: ٢٩

من خلال التعريف اللغوي للمعاد يظهر أن معنى المعاد يدور حول إعادة الحياة للإنسان بعد الموت، والرجوع إلى الوجود بعد الفناء.

والمعاد اصطلاحاً:

عرفه القاضي عياض بقوله: "المعاد في الآخرة هو مرجع الإنسان إلى الحياة بعد الموت ومصيره إلى عقبى أمره وحالته في الآخرة". (القاضي عياض، ٢ ـ ١٠٥)

وهناك مصطلحات مرادفة لمعنى المعاد وردت في القرآن الكريم وكل مصطلح يتناول بعداً من أبعاده، كالبعث

والنشور، والساعة، والقيامة، واليوم الآخر وغيرها.

إثبات المعاد

يوجد دلائل عظيمة وكبرى في إثبات المعاد، ورت في القرآن الكريم، وهناك أدلة عقلية، تستدعي بالمرء النظر والتأمل، وسأعرض نموذجاً من الآيات.

الأدلة النقلية لإثبات المعاد

أولاً: مطالعة نظام هذا العالم أو بتعبير آخر (النشأة الأولى) هي أكبر شاهد على (النشأة الأخرى)، (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) [الواقعة: ٦٦] النشأة الأولى واقعة لا يستطيع منكر إنكارها، "فالذي خلق الزوجين من ذكر وأنثى من نطفة إذا تمنى، قادر على إعادة الخلق من عظام ورفات. فليست العظام والرفات بأهون من الماء المراق فهذا التدبير الخفي الذي يقود الخلية الحية الصغيرة في طريقها الطويل الشاق حتى تكون ذكرا أو أنثى، لا بد أن يكون مداه أبعد من رحلة الأرض التي لا يتم فيها شيء كامل، ولا يأخذ المحسن جزاء إحسانه كاملاً ولا المسيء جزاء إساءته كاملاً لأن في هذا التدبير نشأة أخرى يبلغ فيها كل شيء تمامه فدلالة النشأة الأولى على الأخرى مزدوجة " (سيد قطب، ٢٠٠٤م ـ ٢٧ ـ ٣٤١٧)

قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ ق: ١٥

ثانيا: دليل إحياء الأرض وبعثها كل عام

تحدث القرآن واسعاً عن عظيم قدرته من خلال إحياء النبات بعد موته، مستدلاً على إحياء الموتى بعد هلاكهم، وتفرق أجزائهم، فسطح الأرض يكون مزدهراً بالنبات في فصل الربيع فإذا ما جاء الخريف، ذوت الغصون ويبس النبات، فأصبحت الأرض التي كانت أشبه بعروس، قاحلة جرداء فإذا عاد الربيع دبت الحياة إلى أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من النبات دفعة واحدة ويتكرر هذا على مر السنين، إن دل على شيء، فإنما يدل على أن القادر على إحياء الآلاف من النباتات بعد موتها بلحظة قادر على إحياء الجميع بلحظة. (النورسي، ٣٠)

ولئن كان قائد قطعة عسكرية قادراً على جمع جميع جنوده بصفارة واحدة، فالله أقدر على جمع أجزاء كل واحد بنفخة إسرافيل في البوق.

قال تعالى:ﱡﭐ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﱠ فصلت: ٣٩

هذه الآية دليل على إحياء الموتى، يا منكر البعث خذ عبرة من إحياء الأرض الجدباء بالنبات فالذي أوجد النبات من العدم قادر على بعث الميت وهو أهون عليه لأنه يبعث موجوداً.

ثالثا: خلق الجنين وتطوره ونموه قال تعالى:ﱡﭐ □ □ □ □ □ ئى ئي □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم □ حم ﱠ القيامة: ٣٦ - ٤٠

(إن أي شخص يتأمل في خلق الإنسان وتطور مراحل حياته من نطفة ثم علقة إلى أن أصبح بهذه الهيئة البشرية، لا يستطيع الشك بالقدرة الإلهية التي توجد الحياة بعد الموت، وفي هذه الآية تقرير أن من جعل النطفة علقة والعلقة مضغة إلى أن جعلها حياً سليماً وجعل ذكرا وأنثى يصح بهما التناسل، فإنه قادر على إعادته بعد الموت إلى ما كان عليه من كونه حياً) (الطبرسي، ب - ت، ١٠ - ١٥٦)

رابعاً: القدرة المطلقة لله تعالى

ﱡﭐ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﱠ الأحقاف: ٣٣

ألم ير هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه بعد موتهم، وبعثه إياهم من قبورهم، بلى يقدر الذي خلق السماوات والأرض على إحياء الموتى ولا يعييه شيء، إن كتاب الكون يشهد بالقدرة المبدعة ابتداء لهذا الخلق الهائل



خلق السماوات والأرض، ويوحي للحس البشري بيسر الإحياء بعد الموت، وهذا الإحياء هو المقصود، وصياغة القضية في أسلوب الاستفهام والجواب أقوى وآكد في تقرير هذه الحقيقة، ثم يجيء التعقيب الشامل (إنه على كل شيء قدير)، فتضم الإحياء وغيره في نطاق هذه القدرة الشاملة لكل شيء كان أو يكون.

خامساً: إحياء الموتى في الدنيا دليل على إمكانيته في الآخرة

لم يكتف جل جلاله بسوق الآيات التي تحتاج إلى إعمال نظر لإثبات حقيقة البعث يوم القيامة، وإنما جاء بدليل لا يحتاج إلى شيء من الفكر وهو مشاهدة العيان لحياة الموتى بعد موتهم في هذه الدنيا، وهو حجة على من شاهدوا ذلك، فإذا ثبت ذلك بالدليل القطعي أصبح حجة قاطعة على من لم يشاهدوا إحياء الموتى في هذه الدنيا، وسأستعرض طائفة من حوادث إحياء الموتى بوصفها دليلاً على إحيائهم في الآخرة.

١ـ قصة أصحاب الكهف

حيث بعثهم الله بعد ثلاثمائة وتسع سنوات لكي يكونوا دليلاً حياً على المعاد قال تعالى: ٱُّ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ٱّ الكهف: ٢١

٢: قصة النبي إبراهيم عليه السلام مع الطيور الأربعة عندما طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى حتى يطمئن قلبه.

قال تعالى: ٱُّ لخ لم لى لي □ □ □ □□ □ □□ نم نى □ □ □□ □ □ □ □ □
□ يم يي □ □ □ □ □ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ □ □ □ □□ □ □ □ بر □ □ ّٰ البقرة: ٢٦٠

الآية ظاهرة في عدم الشك، فهو يقول: أرني كيف تحيي الموتى، كأن إحياء الموتى متقرر عنده، فهو يسأل عن الكيفية، ثم بدل أن يشرح له الله الكيفية بالعبارة جعلها له تجربة عملية واقعية.

وأخيرا قد يقول قائل: ما الحكمة في أن يقص الله على نبيه هذه القصة؟ الجواب على ذلك أن الذين نزل القرآن في عصرهم كانوا ينكرون البعث واليوم الآخر فأراد الله جل جلاله أن يجعل هذا النوع من الإقناع أحد الأساليب لإدخال عقيدة الإيمان بالبعث لعقولهم، لأن الإيمان بالبعث والحساب هو الميزان العقدي الذي استقر في القلوب يتجه العباد بكل جوارحهم إلى الأفعال التي تسير على ضوء منهج الله لينالوا أخيرا الجزاء الأوفى.

الأدلة العقلية

أولا: دليل العدالة الإلهية

إن مقتضى العدالة الإلهية أن يجازى المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه، والناظر لهذه الحياة يرى أن هناك أناساً مظلومين وآخرين ظالمين، ولم يأخذ المظلومون حقوقهم في هذه الدنيا، فالعدالة الإلهية تقتضي أن يقتص الله للمظلوم من الظالم بمحاسبته محاسبة عادلة، وهذا لا يتحقق بالدنيا، لأنهم يموتون دون تحقيق ذلك فلا بد من أن يوجد يوم يحاسبون فيه وتؤخذ حقوقهم.

وقرر هذا المعنى الإمام الآلوسي في كتابه عندما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ ص: ٢٨
أنجعل المصلحين المؤمنين كالكفرة في الأرض، التي جعلت مستقراً لهم كما يقتضيه عدم البعث، والكفرة أوفر حظاً منها من أكثر المؤمنين، وذلك الجعل مخالف للحكمة، فتعين البعث لرفع المؤمنين إلى أعلى عليين ورد الكافرين لأسفل سافلين (الآلوسي،١٤٢٥هـ ـ ١٢ ـ ١٨١)

ثانيا: دليل الحكمة: إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا لحكمة وهدف وغاية، والإنسان الذي خلقه الله وسخر له كل شيء، ومنحه العقل، والقدرات التي تمكنه من أداء الكثير من الأعمال، ما خلقه عبثاً قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ الذاريات: ٥٦
وهو خليفة الله في الأرض، وهذه الغاية هي الأمر المناط ببني آدم، وهي وظيفته والهدف الذي خلق من أجله، فيجب عليه أداؤها بدون تقصير، ومن الحكمة أن يحاسب ويقف للمسائلة إذا قصر، أو أساء، وليس من الحكمة أن تناط به مسؤولية ولا يسأل عنها، إن العبث أمر لا يمكن أن يتصوره أحد في هذا الأمر، لأنه صادر عن الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ المؤمنون: ١١٥ □ □ □ □ □ القيامة: ٣٦ وهذه الآيات كلها تؤدي إلى الغرض الأساسي الموصل إلى إدراك المعاد، والقيامة أمر لا مناص منه في التسلسل المنطقي المتصل بالحكمة بلا أدنى شك.

ثالثا: إخراج النار من الشجر الأخضر

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ يس: ٨٠ - ٨١
يقول الطبري: "الذي أخرج نارا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرا سوياً، وخلقاً جديداً، كما بدأها أول مرة" (الطبري،٢٠٠٠م،٢٠ ـ ٥٥٦)

ويقول الرازي " الإنسان مشتمل على جسم يحس به، وحياة سارية فيه، وهي كحرارة جارية فيه، فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه، فلا تستبعدوه، فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب، وإن استبعدتم خلق جسمه، فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم، فلا تستبعدوه، فإن الله خلق السماوات والأرض، ووجه الاستدلال أن من قدر على إيداع الحرارة في النار في الشجر الأخضر، لا يعجز عن إيداع الحرارة الغريزية في بدن الميت " (ا لرازي، ٢٠٠٠م ـ ٢٦ ـ ٩٦)

مذاهب العلماء في حقيقة المعاد

المذاهب الرئيسية في عقيدة المعاد خمسة، ذكرها الفخر الرازي بقوله:" فاعلم أن الأقوال الممكنة في هذه المسألة لا تزيد على خمسة، وذلك لأن الحق: إما أن يكون المعاد هو معاد جسماني فقط وهو قول أكثر المتكلمين، أو المعاد الروحاني فقط وهو قول: أكثر الفلاسفة الإلهيين، أو كل واحد منهما حق وصدق وهو قول: أكثر المحققين أو الحق بطلانهما معاً وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين. أو الحق هو التوقف في كل هذه الأقسام وهو المنقول عن جالينوس" (الرازي،١٤٠٦هـ ـ٢ ـ ٥٥) وسوف أتكلم عن أول ثلاثة فقط.

مذهب القائلين بالمعاد الجسماني فقط

يرى الجمهور من أصحاب هذا المذهب أن الإنسان يتكون من جسمين مختلفين في الماهية والشخص.

١ ـ جسم كثيف وهو البدن، أي هذا الجسم المشاهد المحسوس المركب من الأعضاء والأجهزة الداخلية والخارجية.

٢ ـ وجسم لطيف نوراني سار بالبدن سريان الماء في الورد أو الزيت في الزيتون وهو (النفس وإن شئت فقل: الروح لأن مسماها عند الجمهور المسلمين واحد، فبقاؤها في البدن سبب الحياة وخروجها منه سبب الموت.

وعلى هذا فالمّعاد من الإنسان هو بدنه المركب من هذين النوعين من الجسم ولذلك قالوا إن المعاد جسماني، وهم يريدون البدن والروح لأن حقيقتهما من حيث الجسمية واحدة (التفتازاني، ١٩٩٨م ـ ٥ ـ٨٩)

وهناك فريق آخر من المتكلمين يقول: إن الإنسان مركب من أجزاء أصلية وهي الروح فهي باقية من أول عمره لآخره، وأجزاء عارضة وهي البدن المعرض للزيادة والنقصان والتغيير كل عشر سنوات،

والمبعوث هو الأجزاء الأصلية والمراد ـ بالأجزاء الأصلية في اصطلاح هذا المذهب. (النفس) إذن نفس زيد أصلية بالنسبة لزيد وهي بالنسبة لعمرو فرعية فلا يَرِد اعتراض منكري البعث المبني على أساس مفاده لو أكل إنسان إنساناً وتشكل من جسم المأكول أجزاء في جسم الآكل فلمن تعود يوم المعاد؟

إذا على كلا الرأيين من أصحاب هذا المذهب فالإنسان مكون من جسمين إما من جسم كثيف وجسم لطيف، وإما من الأجزاء الأصلية والأجزاء العرضية للبدن، فما حقيقة الإنسان إذا في نظر الجمهور؟ أهي الجسم اللطيف (الروح) أم الجسم الكثيف (البدن) أم هما معا؟ قال ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ "الذي عليه جمهور العقلاء إن الإنسان هو البدن والروح معا وقد يطلق اسمه على أحدهما دون الآخر بقرينة " (ابن قيم الجوزية، ب ـ ت،١ ـ ١٧٨)

أما الإمام الرازي فيفهم من كلامه الذي ذكره بهذا الصدد في كتابه الأربعين أن حقيقة الإنسان هو الجسم اللطيف النوراني الروح المعبر عنها بالجسم، وعند بعضهم بالأجزاء الأصلية التي تبقى من أول العمر إلى آخره (الرازي، ١٤٠٦هـ ، ٢ ـ ٥٩)

ماهية النفس عند أصحاب هذا المذهب

إن للنفس الإنسانية معنيين مشهورين: أحدهما الجمهور هذا المذهب، والثاني للمحققين منهم، وكلهم متفقون على أنها جسم وليست بجوهر مجرد، ولكن الأول الذي هو للجمهور منهم أكثر شهرة، حتى إن كثيرين من المؤلفين يذكرون المعنى الأول للنفس ولا يشيرون إلى المعنى الثاني في مقام البعث، ويكتفون للإشارة إلى المعنى الثاني في أثناء كلامهم عن حقيقة النفس وهو صنيع الفخر الرازي في الأربعين

(الرازي،١٤٠٦هـ ، ٢ ـ ٢٧) والسعد في شرح المقاصد (التفتازاني،١٩٩٨م، ٣ ـ ٣٠٥)

فالنفس الإنسانية عند جمهور المتكلمين ـ أي: جمهور هذا المذهب ـ جسم مخالف بالماهية للجسم المحسوس الذي يتكون من الأعضاء والأنسجة، وهو جسم لطيف خفيف نوراني علوي حي لذاته متحرك بحيث ينفذ من جواهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد والنار في الفحم ولا يتطرق إليها تبديل ولا انحلال.

أما عند الفريق الثاني منهم:

فالنفس الإنسانية هي الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره من غير أن يتطرق إليها أي شيء من التغيير والانحلال والزيادة والنقصان، وهو مراد من قال: هي هذا الهيكل المحسوس والبنية المحسوسية، أي: التي من شأنها أن يحس بها (التفتازاني،١٩٩٨هـ،٣٠٥/٣)

مذهب القائلين بالبعث الجسماني والروحاني معاً

ذهب إلى هذا الرأي كثير من المحققين من علماء الإسلام كالكعبي والحليمي وأبي حامد الغزالي حجة الإسلام وأبي قاسم الراغب الأصفهاني وأبي زيد الدبوسي ومعمر بن عباس العَلَمي –من قدماء المعتزلة- وجمهور من متأخري الإمامية

فأصحاب هذا المذهب يرون أن النفس الناطقة ليست جسماً ولا عرضاً بل جوهراً روحانياً مجرداً وهذا هو الفارق القوي بين هذا المذهب ومذهب القائلين بالبعث الجسماني فقط بل هو الباعث الوحيد لتفردهم بهذا القول.

فقد اتفق أصحاب هذا المذهب مع أصحاب المذهب الأول القائل بأن البعث جسماني، وهم يريدون بأن البعث للروح والجسد ولكن لما كانت الروح عندهم عبارة عن جسد أيضاً اكتفوا بأن قالوا: المعاد جسماني فقط.

إذن ما الفرق بين أصحاب المذهب الأول والمذهب الثاني؟

الفرق في تعريف النفس فعند أصحاب المذهب الأول القائلين بالبعث الجسماني هي عبارة عن جسم شفاف نوراني يتخلل الجسم كالزيت في الزيتون، والماء في الورد، والنار في الفحم.

وعند أصحاب المذهب الثاني إنما هي ليست جسماً ولا عرضاً بل جوهراً روحانياً مجرداً (التفتازاني ١٩٩٨م،٥-٨٩)

حقيقة الإنسان عند أصحاب هذا المذهب:

الإنسان عندهم مكون من الجسم والنفس والجسم هو البدن المركب من الأعضاء المعروفة والنفس هي الجوهر المجرد القائم بذاته والبدن بالنسبة للنفس كالآلة والنفس هي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب والمدرك للعلوم واللذات والآلام ومن هنا يقال: للشخص من الصبا إلى الشيخوخة إنه هو بعينه وإن تبدلت الصورة والهيئات ولا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب إنها عقوبة لغير الجاني (الجرجاني، ١٩٠٧م، ٨ ـ ٢٩٧)

لأن الإنسان إنسان بنفسه لا ببدنه، وما البدن للنفس إلا كالآلة؛ لذا إذا شلت يد الإنسان خرجت عن أن تكون آلة للنفس، والنفس باقية بعينها وهي حقيقة الإنسان وشخصه وهُوِيَّتُه، فمع بقائها يكون الإنسان باقياً. ولا يترتب على كون النفس هي حقيقة الإنسان وهويته أن المُعَادَ النفس فقط دون الجسم؛ لتبدله وتغيره دائماً لأن الجسد لابد من إعادته كآلة النفس؛ لتكون النفس عرضة لنوعين من النعيم والشقاء، وهما الجسماني والروحاني، ثم لما كان على الجسد واجبات وتكاليف فيجب أن يكون له ثواب وعقاب، ومن ناحية أخرى فالإنسان المكون من الجسم والنفس لا تتشخص هويته إلا بهما،



وإن كانت حقيقته كمدرك ومتدبر هي النفس، إذن لابد من إعادة النفس والجسم؛ ليكون الجسم كآلة لها كما يتصرف الملك في مملكته، أو لتتعرض لنوعين من النعيم والشقاء (علي آرسلان آيدن،١٩٩٨م ـ ١٠٧ ـ ١٠٨)

حقيقة النفس:

حقيقة النفس عند حجة الإسلام الإمام الغزالي ليست جسماً ولا عرضاً، بل هي لطيفة ربانية روحانية أي مجردة ليست متحيزة، ولا حالّة في التحيز، بدليل أن الشرع يخاطب النفوس الناطقة دائماً، ويحدثها عن عقاب من يخطئ، وثواب من يطيع، فهذه الخطابات الموجهة إلى النفوس الناطقة تدل على أنها جوهر مستقل عن البدن والمستقل عن البدن في الوجود والمدبر له يكون جوهراً مجرداً' (الطوسي، ب ـ ت، ٣ ـ ٣)

كيفية إعادة الأجساد إلى الحياة عند أصحاب هذا المذهب:

عند صدر الدين الشيرازي المُعَاد في المَعَاد هو بعينه بدن الإنسان المشخص الذي مات بأجزائه بعينها لا بمثله. أما سعد الدين التفتازاني الذي اختار هذا المذهب فقد قال في شرحه للعقائد النسفية (التفتازاني، ب ـ ت، ١٦١)

تصويراً لكيفية إعادة الأجساد إلى الحياة مرة أخرى: بأنه عن تفريق بجمع أجزائهم الأصلية وإعادة أرواحهم إليها، أي: أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية الباقية من أول عمر الإنسان إلى آخره، ويعيد روحه إليه بعد إعادة التأليف والحياة، فلا يكون الترتيب والشكل في البدن المعاد عين الترتيب والشكل السابقين، ولا مثلهما، بل غيرهما، فإن البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الشخص، سواء سمي إعادة المعدوم بعينه بأن كان هذا الجمع بعد خلق الأجزاء المتفرقة، أولم يسم إعادة المعدوم بأن كانت الأجزاء موجودة لم تعدم، ولا دليل على استحالة إعادة الروح إلى مثل هذا البدن الذي تغيرت أعراضه، بل الأدلة قائمة على حَقِّيَّتِهِ، قال تعالى:(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ) [النساء : ٥٦] فهي تدل بظاهرها على تغير الجلدين حقيقةً، ولا ضير في ذلك؛ لأن الجلد للإنسان ليس من أجزائه الأصلية؛ لأنه كالثوب له يغيره كل فترة.

ولا يرد القول بأن الجلد الثاني يكون معذباً بلا معصيةٍ؛ لأن التعذيب في الحقيقة للنفس بوساطة الأجزاء الأصلية للبدن، فتلك الأجزاء آلة لوصول العذاب إليها، ويؤيد هذا ما ورد في الحديث ((أهل الجنة جرد مرد كَحْلَى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم)) 'وهم لم يكونوا كذلك في دار الدنيا،

هذا فهم السعد في العقائد النسفية إلى أن قال: ولا يبعد أن يكون قوله تعالى:(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم [ياسين : ٨١] إشارة إلى هذا، وقال: ولا يضرنا كونه غير البدن الأول بحسب التشخص، ولا امتناع من إعادة المعدوم بعينه. اهـ (التفتازاني، ب ـ ت ١٦١ ـ ١٦٢)

ثم جاء باعتراض، وأجاب عنه حيث قال: ((فإن قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية. قلنا العبرة في ذلك بالإدراك وإنما هو للروح ولو بوساطة الآلات وهو باق بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات بل كثير من الآلات والأعضاء ولذلك لا يقال لمن جنى في الشباب فعوقب في المشيب إنها عقوبة لغير الجاني)) اهـ(التفتازاني،١٩٩٨، ٥ ـ ٩١)

وقد عُزي إلى الغزالي أنه يقول بإعادة الروح إلى بدن إنسان غير البدن الأول مادة وبناء وصورة على ما ذكره في كتاب (تهافت الفلاسفة) في أثناء مناقشته مع الفلاسفة المنكرين للبعث الجسماني اعتراضاً على أدلتهم وإبطالاً لمذهبهم حيث قال ما خلاصته:

((ربما تنكرون من يختار القسم الثالث وهو رد النفس إلى بدن إنسان غير البدن الأول من أي مادة كانت وأي تراب اتفق، ويرى أن النفس باقية بعد الموت وهي جوهر قائم بنفسه ويدل على بقائها قوله تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران : ١٦٩] كما يدل على ذلك ما ورد من الأخبار بشعور الأرواح بالخيرات والصدقات وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر (الغزالي، ب ـ ت ، ٢٨٥)

وكذلك دل الشرع على البعث وحشر الأجساد، وذلك ممكن بردها إلى البدن أيِّ بدنٍ كان، سواء كان من مادة البدن الأول، أو من غيره، أو من مادة استؤنف خلقها؛ فإنه هو بنفسه لا ببدنه إذ تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر إلى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء، ويختلف مزاجه مع ذلك، وهو ذلك الإنسان بعينه.

فهذا مقدور الله تعالى، ويكون ذلك عوداً لتلك النفس؛ فإنه كان قد تعذر عليها أن تحظى بالآلام واللذات الجسمية بفقد الآلة؛ وقد أعيدت إليها آلة مثل الأولى فكان ذلك عوداً محققاً، (الغزالي، ب ـ ت، ٢٨٥)

وبعد، هذا يشير إلى أنه بهذا الكلام يرد على الفلاسفة، ويبطل معتقدهم، لا أنه يتبنى هذا القول، أو يوافق ما يعتقده؛ لأنه ما ألف كتاب (تهافت الفلاسفة) إلا لإبطال مذهبهم، لا لإثبات المذهب الحق' (الغزالي، ب ـ ت، ٦٨)

مذهب القائلين بالبعث الروحاني فقط

كان الفلاسفة الإلهيون يعتقدون بالبعث الروحاني فقط، واعتنق هذا المذهب عدد من الفلاسفة المسلمين، الفارابي في كتابه (آراء المدينة الفاضلة)' (أحمد الميناوي،٢٠١٠ ـ ١٠٧) وابن سينا ذكر ذلك في رسالة أضحوية في أمر المعاد، (ابن سينا، ١٣٨٢هـ ـ ٩١)

حقيقة الإنسان والنفس والعلاقة بينها وبين البدن:

أولاً ـ رأي سقراط:

إن الإنسان في نظره ليس شيئاً مادياً صرفاً، بل في داخل جسمه شيء آخر خفي غير مادي وهو النفس،

والنفس جوهر غير مادي تشبه الإله الخالد لحد كبير فكما أن الإله خفي تعجز حواسنا عن إحساسه وعقولنا عن إدراك ماهيته، كذلك النفس لا ترى ولا تُدْرَك حقيقتها وهي موجودة في الجسم بأسره (محمود قاسم، ب ـ ت، ٢٨)

فكما أن الإله هو المدبر للكون، كذلك النفس هي المدبرة للبدن والمحركة له، وهي ذات متمايزة من البدن قائمة بذاتها فلا تفسد بفساده، بل تخلص بالموت من سجنها، وتعود إلى صفاء طبيعتها؛ لأنها خالدة تبقى بعد انفصالها عن الجسد، كما أنها موجودة قبل اتصالها به؛ لأنها من عالم آخر عالم روحاني.

لذلك كله كان سقراط يرى أن النفس جوهر الإنسان الحقيقي، وأما ما يشاهد ويحس من الإنسان أعني الجسد فهو ليس إلا آلة هي تأمره وتدبر شؤونه، فسقراط اكتشف أن النفس شيء آخر غير البدن، وهي مسيرة له من خلال ملاحظته عمل الحذَّاء، فصانع الأحذية يقطع الأحذية بالسكين ويستعمل في صنع الحذاء بعض الأدوات الأخرى، وأخبر بأننا نفرق بينه وبين الآلة التي يستعملها في عمله، ثم انتقل منه إلى أن صانع الأحذية لا يقطع الجلد أو يصنع الحذاء بالآلة فحسب، بل بيديه أيضاً إذاً هو في حقيقة الأمر يستخدم يديه وكذلك عينيه.

ولما كانت التفرقة بين الشخص الذي يستخدم شيئاً وبين الشيء الذي يستخدمه أمراً ظاهراً متفقاً عليه، وجب الحكم بالتفرقة بين كل من صانع الأحذية، والعازف على القيثارة، وبين أيديهما وعينيهما؛ لأنهما يستخدمانها.

وبعد هذه المقدمات جزم سقراط بأن الإنسان يستخدم جسمه بأكمله، إذاً فالإنسان شيء آخر غير جسمه وبدنه الذي يستخدمه. ثم قال: ((فهل هناك شيء آخر يستخدم البدن بأمره سوى النفس؟)) (محمود قاسم، ب ـ ت،٢٢ ـ ٢٣)

ثانياً- الفارابي:

يرى الفارابي أن الإنسان مكون من جوهرين أحدهما جسمه الذي هو من عالم الخلق أي عالم الماديات والمحسوسات، والآخر (نفسه) التي هي من عالم الأمر أي العالم الإلهي عالم المجردات والروحانيات، وكل منهما مباين للآخر في الصفات، فإن النفس ليست بجسم بل جوهر روحاني بسيط لا يتشكل بصورة، ولا يتحقق بخلقة، ولا يتعين بإشارة، ولا يتردد بين سكون وحركة.

أما الجسم فهو جوهر مادي متحيز، يتشكل، ويتكيف، وله مقدار معين يقبل الانقسام والتردد بين الحركة والسكون، وهو يعبر عن النفس بالروح، ويقول: ((أنت مركب من جوهرين، أحدهما: مشكل، مصور، مكيف، مقدر، متحرك، ساكن، متحيز، منقسم، والثاني: مباين للأول في هذه الصفات، غير مشارك له في حقيقة الذات يناله العقل، ويعرض عنه الوهم، فقد جمعت من عالم الخلق، ومن عالم الأمر؛ لأن روحك من أمر ربك، وبدنك من خلق ربك)) (الفارابي،١٩٠٧، ١٤٥)

والنفس عنده جوهر بسيط روحاني، وهي حادثة لا تسبق الجسد في الوجود، كما أنكر تناسخ النفوس بعد فساد

الأجساد حيث قال: ((ولا يجوز وجود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون ولا يجوز انتقال النفس من جسد إلى جسد كما يقول التناسخية(الفارابي، ١٩١٠، ١٨)

ويرى أن النفوس حادثة عن واهب الصور عند حدوث الشيء المستعد لقبوله فيه وهو البدن، ورفض وجود نفسين لبدن واحد، وقال: ((وإنها مفارقة باقية بعد الموت فليس فيها قوة قبول الفساد (محمود قاسم، ب ـ ت، ٧٤)

وهذا عام في جميع النفوس لكن له رأي آخر أشار إليه في (عيون المسائل) وقال: (وللنفس بعد موت البدن سعادات وشقاوات، وهذه الأحوال متفاوتة للنفوس، وهي أمور لها مستحقها، وذلك لها بالوجوب والعدل).

فالواضح من هذين النصين أن الخلود عام للنفوس الجزئية جميعاً، ولكن له نصوص أخرى في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) يثبت فيها الخلود لنفس أهل المدينة الفاضلة التي أدركت السعادة وأخذت بأسبابها وللنفوس التي أدركت السعادة ولكنها لم تحصل أسبابها دون الأنفس الجاهلة حيث يؤكد فناءها.

فالأولى مخلدة في النعيم، والثانية مخلدة في الشقاء، وأما النوع الثالث من النفوس أعني الجاهلة فهي الفانية الصائرة إلى العدم على مثال ما يكون عليه البهائم والسباع و الأفاعي' (الفارابي،١٣٦٨، ٩٩ ـ ١٠٠) أما ابن طفيل فيرى هذه النفوس الثلاث خالدة، (ابن طفيل، ب ـ ت،١١٨،١٩٩٢) ويرى أن النفس واحدة وإن تعددت قواها.

مناقشة هذه المذاهب:

أولاً- مناقشة مذهب القائلين بالبعث الجسماني فقط:

النفس عند أصحاب هذا المذهب تتلخص في رأيين رئيسيين:

أحدهما لجمهورهم: إنها جسم لطيف خفيف نوراني متحرك بحيث ينفذ في جواهر الأعضاء، ويسري فيها سريان ماء الورد في الورد، وسريان النار في الفحم، هذا المعنى هو المشهور عنهم.

وثانيهما لبعض المتأخرين منهم: وهم يقولون: إنها هي الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره من غير أن يتطرق إليها شيء من التغيير والانحلال والزيادة والنقصان.

إذاً على كلا الرأيين فالنفس عندهم جسم، وإن كانت عند الفريق الثاني جسماً ألطف من مطلق الجسم عند جمهورهم، والأجزاء الأصلية في الإنسان عند الآخرين منهم، ومن هنا قالوا: إن البعث جسماني فقط؛ لأن الإنسان مكون من جسم كثيف وهو (البدن)، ومن جسم لطيف وهو (النفس)، أو من أجزاء أصليِّة وأجزاء فضلية. وعلى أي

وضع فالإنسان نوعان من الجسم، وإن سمي أحدهما نفساً (علي أرسلان آيدين، ب ـ ت، ٤٩٦ ـ ٤٩٧)

وقد يفهم من قولهم ((إن البعث جسماني فقط)) أنهم ينكرون وجود النفس، ومن ثم ينكرون البعث الروحاني، والحق أنهم لا ينكرون وجودها كيف وقد جاؤوا بالأدلة على خلودها، وعلى أنها تمثل حقيقة الإنسان، إلا أنهم لما جزموا بجسمية النفس وعدم تجردها اكتفوا بالقول: بأن البعث جسماني فقط.

ويردّ عليهم كالتالي:

كان الأجدر بهؤلاء المتكلمين أن يقولوا بوجود شيء غير مادي في الإنسان مغير لجسمه يدبره ويتصرف فيه منه ينشأ الإدراك والشعور والتعقل والحياة والحركة، بدلاً من أن يأخذوا بذلك المبدأ العاجز عن تفسير هذه الأشياء غير المادية في الإنسان كما يشهد بذلك علماء الطبيعة المتخصصون في عالم الحياة ووظائف الأعضاء (.علي آرسلان، ب ـ ت، ٤٩٧ ـ ٤٩٨)

كان الأجدر بهم القول بأن النفس من عالمٍ إلهي (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) [الإسراء : ٨٥] ما داموا يقولون بوجود الله المنزه عن المادية والجسمية مطلقاً، ويعترفون بالملائكة وعالم الأرواح والمجردات، وكذلك النفس فهي مجردة علماً أن هذا القول لا يرفع أصلاً من أصول الدين.

أليس الله قد استأثر بعلم حقيقة الروح فقال:(قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) فكيف نستطيع أن نحكم بعد ذلك بجسمية النفس والروح؟ علماً أنه قد اعترف بعدم جسميتها المتكلمون المتأخرون وكثير من علماء الإسلام.

ثم كيف نستطيع أن نتخلص من إلحادية مادية عصرنا؟ وكيف نقنع هؤلاء بوجود إله غير مادي، وبوجود عالم الأرواح والمجردات، ما دمنا لا نعترف بوجود مبدأ روحاني غير مادي؟

أما الأدلة التي ذكروها على جسمية النفس فهي ضعيفة واهية لا تنهض أمام قوة تلك الأدلة الكثيرة التي أقامها خصومهم من المتكلمين والفلاسفة الروحيين على روحانية النفس، وبهذا نكون قد فرغنا من مناقشة جسمية النفس، وتقرير كونها مجردة مغايرة للبدن، وكونها من عالم غير مادي (علي آرسلان، ب ـ ت،٤٩٧ ـ ٤٩٨)

ثالثاًـ مناقشة مذهب القائلين بالمعاد الروحاني فقط:

حجة أصحاب هذا المذهب أن الجسم بعد الموت ينعدم، ويستحيل على مذهبهم إعادة المعدوم بعينه، إذ لو أعيد المعدوم بعينه لتخلل العدم بين الشيء ونفسه لكن التالي باطل وكذا المقدم باطل.

أما الدليل على هذه الملازمة: فلأن معنى إعادة المعدوم بعينه أن الشيء يوجد أولاً، ثم ينعدم، ثم يوجد ذلك الشيء ثانياً، فالشيء ثانياً هو الشيء بعينه أولاً، وقد توسط بينهما العدم، أي: تخلل بين الشيء ونفسه.

أما الدليل على بطلان التالي: فلأن التخلل يقتضي طرفين متغايرين، وإلا للزم تقدم الشيء على نفسه، وهو

محال؛ لأن معناه تقدم لا تقدم، أو تأخر لا تأخر، وهو تناقض (علي آرسلان، ب ـ ت،٤٥٣ ـ ٤٥٤)

هذا دليل أصحاب هذا المذهب، فإذا استطاع أصحاب المذهب الثاني القائل بالبعث الروحاني والجسماني معاً إبطال هذا الدليل بطل المذهب الأول القائل باستحالة البعث الجسماني (علي آرسلان، ب ـ ت، ٤٦٣)

يقول أصحاب المذهب الثاني في الرد على أصحاب المذهب الأول القائل بالمعاد الروحاني فقط ((لا نسلم الملازمة، أي: نقول بصحة إعادة المعدوم بعينه، ونمنع لزوم تخلل العدم بين الشيء ونفسه؛ لأن العدم ليس له وجود حقيقي حتى يوصف بالتخلل بين الشيئين بحيث يقطع الاتصال بينهما، ولا يصح ذلك عند المعتزلة أيضاً؛ لأن وجود العدم على رأيهم وجود اعتباري لا حقيقي.

وعلى ذلك فالمتخلل إنما هو زمان العدم لا العدم نفسه؛ لأن هناك أزمنة ثلاثة: فالزمن الأول ظرف للوجود الأول، والزمن الثاني ظرف للعدم، والزمن الثالث ظرف للوجود الثاني الذي بعينه الموجود الأول، إذن فزمن العدم هو الذي تخلل بين زمانين متغايرين لموجود واحد، لا العدم نفسه، فلا تتم الملازمة.

ولو سلمنا أن العدم يوصف بالتخلل مجازاً فلا نسلم الملازمة أيضاً؛ لأن العدم لم يتخلل بين الشيء ونفسه، بل تخلل بين الشيء وغيره؛ لأن المغايرة متحققة بين الوجود في الزمن الأول وفي الزمن الثاني بحسب الزمن.

فاختلاف الزمن يكفي لحصول الغيرية بين الموجود الأول والموجود الثاني وإن كانا متحدين حقيقة فإن المغايرة الاعتبارية كافية.

وعلى ذلك لا يتخلل العدم بين الشيء ونفسه بل يتخلل بين الموجودين المختلفين باعتبار الزمن وإن كانا متحدين باعتبار الذات. فالملازمة إذن ممنوعة ويصح أن يكون هذا الجواب منعاً لبطلان التالي بأن يقال: إنما يكون تخلل العدم بين الشيء ونفسه باطلاً إذا كان ذلك في وقت واحد فبطلان ذلك ظاهر أما إذا كان التخلل بحسب وقتين مختلفين كما هنا فلا محالة في ذلك؛ لأن معنى التخلل هنا أن الشيء كان موجوداً زمناً، ثم صار معدوماً زمناً ثانياً، ثم صار موجوداً ثالثاً فالتخلل في التحقيق للعدم بين زماني وجود الشيء الواحد فلا محالية في ذلك؛ لتحقق وجود طرفين متغايرين (علي آرسلان، ب ـ ت، ٤٦٤)

وهناك اعتراض آخر يشبه الاعتراض الثاني، فهو يمنع الملازمة بحجة أن التغاير حاصل لا باعتبار الزمن، بل باعتبار العوارض غير المشخصة، فلا يلزم تخلل العدم بين الشيء ونفسه، ومع ملاحظة أن تلك المغايرة بحسب الأعراض المذكورة لدينا في اتحاده بحسب الذات (علي آرسلان، ب ـ ت،٤٦٣ ـ ٤٦٥)

فهذا الدليل يبطل دعوى أن المعدوم يستحيل إعادته بعينه فلا داعي للرد على الأدلة الأخرى لأنها جميعاً تبنى

على هذا الأصل الفاسد.

ولنذكر مثالاً ثانياً لتقدم الشيء على نفسه في الدور المحال ليزداد ما يقابله من التقدم الممكن وضوحاً: مثلاً يصح القول بأن الدجاجة تخرج من البيضة ويصح القول بأن البيضة تخرج من الدجاجة. ولكن لا صحة لقول القائل مشيراً إلى بيضة معينة ودجاجة معينة: إن كلاً منهما خرجت من الأخرى، إذ لا يمكن أن تخرج الدجاجة من البيضة التي باضتها هي نفسها بعينها. فلابد إذا كانت هذه الدجاجة خرجت من البيضة كما خرجت البيضة من الدجاجة، أن تكون تلك البيضة خرجت من دجاجة غير هذه الدجاجة، وإلا لزم تقدم هذه الدجاجة على نفسها وأن تكون موجودة قبل وجودها لتخرج منها البيضة التي خرجت هي أي الدجاجة منها وهو تناقض محال ودور باطل" (مصطفى صبري، ١٩٥٤م،٢١٤ـ ٢١٥)

رابعاً- إثبات مذهب القائلين بالمعاد الجسماني والروحاني معاً:

بعد إبطال مذهب المنكرين للبعث مطلقاً وإثبات فساد أفكارهم، وكذا مذهب القائلين بالمعاد الروحاني دون الجسماني وإثبات فساد شبههم التي اعتمدوا عليها وبُعْد تأويلاتهم للنصوص الدينية وصرفها عن معانيها الظاهرة الواضحة كما ثبت بطلان مذهب القائلين بالبعث الجسماني فقط على مصطلحهم وأن الأدلة التي جاؤوا بها لا تصلح أن تكون أدلة يمكن الاعتماد عليها.

يتبين لنا بعد كل هذا أن المذهب الحق في البعث والمعاد أن البعث للروح والجسد معاً بصرف النظر عن كون المعاد الجسماني عن عدم –إذ ثبت بالأدلة القاطعة أن إعادة المعدوم بعينه جائزة وممكنة- أو عن تفريق فليس وراء كل هذا طائل، ولن نكتفي بالاستدلال على البعث الجسماني والروحاني معاً بهدم أقوال الآخرين فقط فنكون سلبيين بل سنثبت صحة ما ادعيناه وآمنا به بالأدلة الواضحة القاطعة العقلية منها والنقلية.

وسأبدأ بالأدلة النقلية التي تثبت خلود النفس وسأكتفي بأهمها:

١- قوله تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ۞فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ) [آل عمران: ١٧٠]فكونه حياً مرزوقاً مستبشراً يستلزم أن يكون باقياً غير معدوم.

٢- قوله تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر: ٣٧] فرجوعها إلى ربها دليل بقائها.

٣- قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تغدو إلى رياض الجنة)).(الفردوس، إلكيا ١ ـ ٢٣٨)

٤- الآيات والأحاديث التي تثبت أن الأرواح تتنعم في قبورها، وتعذب بعد فساد الأجساد إلى أن يرجعها الله إلى أجسادها يوم البعث؛ حيث لا يتحقق ذلك إلا ببقاء النفس بعد الموت.

والآن أثني بالأدلة العقلية التي تثبت خلود النفس فأقول: ذكر الفلاسفة الإلهيون وخاصة أفلاطون وابن سينا وابن رشد أدلة كثيرة على خلود النفس، وذلك بإثبات جوهرية النفس وبساطتها واستقلالها عن البدن وكونها غير مادية (ابن رشد، ب ـ ت، ٢ ـ ٨٥٨)

أثبت أفلاطون ذلك من خلال (برهان الحياة) حين قال: ((إن الحياة صفة جوهرية في النفس لا تنفك عنها سواء كانت متصلة بالجسم أو فارقته بعد فناء؛ لأنها سبب الحياة بحيث متى اتصلت به تجري فيه الحياة، ومتى فارقته أدركه الموت والفناء، أما هي (النفس) فهي خالدة؛ لأن الحياة في ذاتها لا تنفك عنها بحال من الأحوال، إذن هي منافية للموت بالطبع، ومن ثم تكون خالدة)).

ويشبه هذا الدليل برهان ابن سينا (برهان البساطة) الذي ملخصه أن النفس جوهر لا يحتوي أمرين متناقضين أي الوجود والعدم، وإن وجدت فيستحيل أن تنعدم، وإلا لأصبح البسيط مركباً من وصفين متنافيين، فالأشياء المركبة هي التي تقبل الفساد؛ لأن فيها جانبي فعل وقوة حيث يجوز أن يجتمع فيها فعلُ أن يبقى، وقوةُ أن يفسد، فهذا الأمر مُحال في الأشياء المفارقة وقد ثبت أن النفس جوهرٌ بسيطٌ مفارق وأنها حية بطبيعتها، فلا يمكن أن يوجد فيها قابلية الفناء" (علي آرسلان، ب ـ ت، ٢١٩ ـ ٢٢٠) هذا رأيه والحق أنها باقية بإبقاء الله وليس بطبع فيها.

واستدل ابن سينا على خلود النفس بأنها مصدر الحياة والحركة والإدراك والتعقل، وهي أقوى من جوهر البدن؛ لأنها محركة لهذا البدن، ومدبرة له، ومتصرفة فيه، وهي حقيقة الإنسان وما البدن إلا تابع لها. والجوهر الذي هذا شأنه لا يفنى بعد الموت، ولا تضر مفارقته للبدن وجوده؛ لأن صلة النفس بالبدن ليست صلة تلازم بحيث يلزم من بطلان أحدهما بطلان الآخر، بل صلتها به صلة مالك بمملوك وآمر بمأمور، فلن يضر المالك ما قد يلحق بملكه من فساد.

ومما يدل على أن جوهر النفس غير مرتبط بالجسد، بل يستطيع أن يبقى بعد فساد البدن ومفارقته، أن الإنسان في منامه يرى الأشياء، ويسمعها، ويدرك بعض الغيوب، ولا يتيسر له ذلك في حال اليقظة.

ويرى ابن رشد –كابن سينا- أن فساد البدن لا يستلزم فساد النفس؛ لأن البدن كآلة لها، ولا شك أن فساد الآلة لا يستلزم فساد مستخدمها.

هذه الأدلة العقلية تثبت خلود النفس الإنسانية بعد الموت وبقاءها بعد فناء الجسد.

فتكون النفس في حياتها الأخرى إما في نعيم، وإما في جحيم، وهذا هو المعاد الروحاني على ما يراه الفلاسفة الإلهيون والمتكلمون الذين يعتقدون بالبعث الجسماني لا ينكرون خلود النفس بعد الموت، بل يثبتون ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة حتى يتحقق عذاب الأرواح ونعيمها بعد المفارقة في القبر إلى أن يرجعها الله إلى أجسادها يوم البعث.

إذن هذه بعض الأدلة التي ذكرها العلماء في إثبات الشق الأول وهو البعث الروحاني، وسنشرع الآن بإثبات الشق الثاني، وهو إثبات البعث الجسماني الذي أنكره الفلاسفة الإلهيون والطبيعيون جميعاً.

فنقول: قد ثبت لنا فيما مضى أن إعادة المعدوم بعينه جائزة عقلاً إن قلنا إن حشر الأجساد عن عدم، وإذا قلنا إن إعادة المعدوم عن تفريق فالأمر أظهر في الإمكان؛ لأن الأجزاء المتفرقة المختلطة بغيرها قابلة للجمع والتأليف والحياة؛ حيث قبلت تلك الأجزاءُ الجمعَ والتأليف والحياة أولاً فتكون القابلية صفة ذاتية لها فيلزم أن تقبل تلك الأجزاء الحياة ثانياً فإنه لو امتنع قبولها للجمع والحياة ثانياً لامتنع ذلك أولاً، وهو غير صحيح؛ لأنها قبلت أولاً ،ووجدت فعلاً ؛لما نشاهدها هذا من جهة القابل أما من جهة الفاعل وهو الله فهو قادر على جميع الممكنات، وعالم بجميع الكليات، والجزئيات ومنها أجزاء الجسم فيعيد أجزاء كل جسم لصاحبه ،ويميزها بعد اختلاط بعضها ببعض.

وبعد هذه المقدمة نقول: إن صحة القبول من القابل وصحة الفعل من الفاعل سبحانه توجب صحة الإمكان أي إعادة الأجساد إلى الوجود والحياة مرة ثانية بالفعل، وهذا الدليل حجة على الفلاسفة الإلهيين الذين يؤمنون بوجود الله، ولا يكون حجة على الفلاسفة الماديين الذين لا يعترفون بوجود الله. فالمطلوب لإقناع هؤلاء إثبات وجود الله بصفاته وكماله وإثبات إرسال رسله، وقد ثبت وجود الله تعالى بالأدلة القاطعة عند أكثر الفلاسفة والعلماء قديماً وحديثاً فضلاً عن الدين السماوي اليهودي والمسيحي والإسلامي الذي أثبت وجود الله، وكل ما يتعلق بذاته المقدسة، وقد ألف لهذا الغرض كتب لا تكاد تحصى بحيث أصبح ملايين العقول الممتازة تؤمن بالله عز وجل؛ فيكون ذلك كافياً لإثبات البعث الجسماني.

الخاتمة:

وفي الختام أقول: إن عقيدة الإيمان بالمعاد بعد الموت لنيل الجزاء مردودها الإيجابي على الفرد والجماعة كبير، كما أسلفنا بينما الكفر بعقيدة المعاد مردودها على الفرد والجماعة سلبي للغاية، ومدمر لكل مقدورات الحياة، وصدق العظيم القائل:ﱡ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﱠ العنكبوت: ٣٦، فقد ربط الحق جل جلاله عدم العيث في الأرض الفساد بالإيمان باليوم الآخر

النتائج:

١ ـ إن القرآن الكريم يسعى سعياً حثيثاً لتثبيت عقيدة الإيمان بالبعث والنشور في قلوب البشر، ندرك ذلك من خلال ما نراه من حديثه المسهب عن اليوم الآخر، ومن توظيفه كثيراً من مواقف الوعد والوعيد، أو المدح والذم، أو النصح والإرشاد، إلى غير ذلك؛ للوصول إلى هذه الغاية، من مثل قوله

عز وجل: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ۝ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)[فصلت : ٧/٦] وقوله سبحانه في حديثه عن الخاشعين: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [البقرة : ٧٦]، إلى غير ذلك من المواقف التي بلغت من الكثرة ما بلغت.

٢ ـ بعد استعراض أقوال العلماء المتعلقة في قضية الحياة الثانية بعد الموت واستعراض الأدلة التي استخدمها القرآن الكريم لإثبات هذه العقيدة ثبتَ بما لا يدع شكّاً لمستريب منصف أن قضية البعث والمعاد حقيقة لا مرية فيها.

٣ـ ـ لدى استعراض الآيات القرآنية الكريمة الدالة على أهوال يوم القيامة ثبتَ بأن هذا النظام وهذه الرتابة التي نلحظها في هذا الوجود الكوني لن يستمر إلى ما لا نهاية، كما يعتقد بذلك الدهريون، بل لا بد أن يأتي يوم تسجَّر فيه البحار، وتُدكّ الجبال، وتنكدر النجوم، وتُطوى فيه السماوات كطيّ السجلّ للكتاب، وينتهي كل شيء في ساعة واحدة، وتندثر تلك الحضارة الإنسانية برمّتها.

٤ ـإن العباد في نهاية المطاف صائرون إمّا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أعدّت للمتقين، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، لا تَنتهي ولا تبيد أبداً، وإما إلى نار يستمرّ فيها العذاب المهين إلى ما لا نهاية.

المصادر والمراجع

١ـ الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني. (١٤١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط١. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢ـ أرسلان آيدين، علي.(١٤١٩هـ١٩٩٨). البعث والخلود. ط١. دار سخا. إسطنبول.
٣ ـ التفتازاني، سعد الدين. شرح العقائد النسفية. ط. بدون. تاريخ النشر: بدون.
٤ ـ التفتازاني، مسعود بن عمر. (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٩٨م) شرح المقاصد. ط٢. عالم الكتب. بيروت.

٥- الجرجاني، القاضي. (١٣٢٥-١٩٠٧). شرح المواقف. ط١. مطبعة السعادة. مصر.
٦- الديلمي، (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م). في الفردوس بمأثور الخطاب. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
٧الرازي، فخر الدين. (١٤٢١ه - ٢٠٠٠م). مفاتيح الغيب. ط ٣. دار الكتب العلمية. بيروت
٨- الرازي، محمد بن عمر. (١٤٠٦هـ) الأربعين في أصول الدين. ط١. دار التضامن. بيروت.
٩ - ابن رشد، تهافت التهافت، ط٤. دار المعارف. القاهرة.
١٠- بن سينا، حسين. (١٣٨٢). الأضحوية في المعاد. ط١. شمس تبريزي. إيران.
١١ - صبري، مصطفى. (١٤٠١هـ١٩٨١م). موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين. ط٢. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
١٢ - الطبرسي، الفضل بن الحسن. مجمع البيان في تفسير القرآن. دار المرتضى. بيروت.
١٣- الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن. ط١. مؤسسة الرسالة. بيروت.
١٤-ابن طفيل، (١٩٩٢م). حي بن يقظان. ط٥. دار الآفاق الجديدة. بيروت.
١٥ - الطوسي، حامد محمد. إحياء علوم الدين. دار المعرفة. بيروت.
١٦ - الغزالي، تهافت الفلاسفة. ط٢. دار المعارف. مصر.
١٧- الفارابي. (١٩٠٧). فصوص الحكم. ط١.
١٨- الفارابي، (١٣٦٨هـ-١٩٤٨م). آراء المدينة الفاضلة. ط٢. مطبعة حجازي. القاهرة.
١٩- الفارابي، (١٣٢٨ هـ ١٩١٠م) عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة القديمة. مطبعة المؤيد. القاهرة.
٢٠ - قاسم، محمود. النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام. ط٣. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
٢١-القرطبي، محمد بن أحمد. (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م). الجامع لأحكام القرآن ط ٢. دار الكتب المصرية. القاهرة.
٢٢- قطب، سيد. (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). في ظلال القرآن. ط ٣٤. دار الشروق. القاهرة.
٢٣- ابن قيم الجوزية، محمد. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة. دار الكتب العلمية. بيروت.
٢٤-الميناوي، حمد. (٢٠١٠). جمهورية أفلاطون. ط١. دار التراث العربي. بيروت.
٢٥- النورسي، سعيد. كليات رسائل النور رسالة الحشر. ط٣. شركة سوزلر. القاهرة
٢٦ - اليحصبي، القاضي عياض. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المكتبة العتيقة. تونس.